مجلة بحوث الشريعة

دوريَّة علمية محكمة

تصدرها كلية العلوم الشرعية
بسلطنة عمان

العدد الأول
ربيع الآخر ١٤٤٣هـ ـ ديسمبر ٢٠٢١م

الرقم الدولي (ISSN)
print:2790-024X
Online:2790-0258

فهرس البحوث

افتتاحية العدد ٩

النشأة الإنسانية بين الحيرة البشرية والحقيقة القرآنية ١٠
سعيد بن راشد الصوافي [جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان]

اغتفار الربا التابع غير المقصود بالتعامل في الصكوك المختلطة في ضوء قاعدة التبعية ٣٤
محمد عبد الباري أوانج ،محمد فؤاد سواري ،محمد برهان الدين [الجامعة الإسلامية العالمية – مملكة ماليزيا]

مِن أُطُر عِلم الاجتماع الدينيّ ومُخرَجاتِه في مقدمة ابن خلدون ٦٤
فتحي بن نصر بو عجيلة [كلية العلوم الشرعية – سلطنة عمان]

أثر علم أصول الفقه في ترسيخ منهج الاجتهاد في الفكر الأصولي ٨٨
ربيع الحمداوي [المملكة المغربية]

المقارنات الفقهية عند الإباضية في القرنين الأول والثاني الهجريين ١١١
طالب بن علي السعدي [كلية العلوم الشرعية – سلطنة عمان]

التعريف بمجلة بحوث الشريعة

جهة الإصدار

تصدر المجلة عن كلية العلوم الشرعية، وتخضع للأنظمة المعمول بها في السلطنة، وبالأخص قانون المطبوعات والنشر الصادر بالمرسوم السلطاني (٨٤/٤٩) وتعديلاته ولائحته التنفيذية، وكذلك قانون حقوق المؤلف والحقوق المجاورة الصادر بالمرسوم السلطاني (٢٠٠٨/٦٥).

أهداف المجلة

١- نشر البحوث العلمية المحكمة في مجالات العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية.

٢- إبراز جهود الباحثين من خلال نشر إنتاجهم العلمي وإتاحته للمختصين.

٣- تشجيع الباحثين في تخصصات العلوم الشرعية والإسلامية على إجراء البحوث ونشرها.

٤- الإسهام في تطوير حركة البحث العلمي في تخصصات الشريعة والدراسات الإسلامية.

٥- الإسهام في نشر المعرفة في مجالات علوم الشريعة الإسلامية ولا سيما المتعلقة بعمان.

مجالات النشر

تنشر المجلة البحوث والدراسات في مجالات العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية وما يتعلق بها، وتشمل: الشريعة والقانون- الدراسات الإسلامية- الاقتصاد الإسلامي- الثقافة الإسلامية.

هيئة التحرير

- **رئيس هيئة التحرير**
  - د. عبدالله بن مسلم الهاشمي — جامعة السلطان قابوس
- **مدير التحرير**
  - د. فتحي بن نصر بوعجيلة — قسم أصول الدين
- **الأعضاء**
  - د. إبراهيم بن راشد الغماري — قسم الفقه وأصوله
  - د. مهدي بن لوناس دهيم — قسم أصول الدين
  - د. أحمد بن سعيد الرمحي — قسم الفقه وأصوله

- د. محمد البشير الحاج سالم قسم الفقه وأصوله
- د. طالب بن علي السعدي قسم الفقه وأصوله
- د. سعاد بنت سعيد الدغيشية قسم المتطلبات العامة

- **منسق التحرير**

- الفاضل/ عبدالله بن ناصر الحبسي

الهيئة الاستشارية

- **أ. د. سليمان بن علي بن عامر الشعيلي** جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان.
- **أ. د. داود بو رقيبة** جامعة عمار ثليجي بالأغواط- الجزائر.
- **أ.د عمر محمد عبد المنعم الفرماوي** جامعة الأزهر- مصر.
- **أ.د إبراهيم نورين إبراهيم محمد** مركز أبحاث الرعاية والتحصين الفكري- مجمع الفقه الإسلامي- السودان.
- **أ. د. مصطفى باجو** جامعة غرداية- الجزائر.
- **أ. د. أرطغرل بوينوكالن** جامعة مرمرة- تركيا
- **أ. د. عبد الحميد عشاق** دار الحديث الحسنية- المغرب.
- **أ. د. كمال توفيق حطاب** جامعة الكويت- الكويت.

قواعد النشر

مجلة بحوث الشريعة، مجلة علمية محكمة متخصصة، تصدر عن كلية العلوم الشرعية بسلطنة عمان، تعنى بنشر الدراسات والبحوث العلمية الأصيلة، التي تتوافر فيها مقومات البحث العلمي من حيث أصالة الفكر، ووضوح المنهجية، ودقة التوثيق، في مجالات العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية. ويخضع النشر في المجلة للشروط والضوابط الآتية:

شروط النشر

١- ألا يكون البحث منشورًا، أو مقدما للنشر إلى أي جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدا بذلك.

٢- ألاّ يكون البحث جزءًا من كتاب، أو بحْث منشور، أو رسالة علمية مجازة.

٣- أن تتوافر في البحث المقدّم الأمانة العلميّة، والدقّة المنهجيّة، وسلامة اللغة، مع استيفاء جميع أركان البحْث العلميّ، ومكوّناته، وفق القواعد البحثية المعتمدة. ويتحمل الباحث وحده المسؤولية القانونية التامة في حالة نشر البحث وبه إخلال بالأمانة العلمية.

٤- ألاّ يزيد عدد الباحثين على ثلاثة.

٥- أن يكون البحث مكتوبًا باللغة العربية.

٦- أن يكون البحث في المجالات التي تختص بها المجلة.

٧- ألا يزيد عدد الكلمات على (٨٠٠٠) كلمة بما في ذلك الجداول والأشكال والمراجع.

ضوابط تسليم البحث

١- إرسال البحث إلكترونيا إلى المجلة عبر البريد الإلكتروني majallah@css.edu.om.

٢- طباعة البحث بخط ترايديشنال أرابيك (Traditional Arabic) بحجم (١٦) للمتن و(١٢) للهوامش، بصيغة وورد، مع ترك مسافة ونصف بين السطور. وتطبع الكلمات المكتوبة بالحرف اللاتيني بخط تايمز نيو رومان Times New Roman بحجم (١٢) للمتن و(١٠) للهوامش، مع ترك مسافة ٢,٥ سم على جوانب الصفحة الأربعة.

٣- كتابة البيانات الآتية باللغتين العربية والإنجليزية في صفحة مستقلة: عنوان البحث، واسم الباحث، وعنوانه، والبريد الإلكتروني، رقم الهاتف.

٤- تضمين البحث ملخّصين باللغتين العربية والإنجليزية، في حدود مائتي (٢٠٠) كلمة، ويذيلان بالكلمات المفتاحية للبحث، على ألا تتجاوز خمس كلمات.

٥- احتواء مقدمة البحث على العناصر الأساسية: موضوع البحث وأهميته وأسباب اختياره، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، والدراسات السابقة فيه، وخطته، والمنهج المتبع فيه.

٦- اشتمال خاتمة البحث على أهم النتائج والتوصيات.

٧- مراعاة قواعد التوثيق والأمانة العلمية في الهوامش وقائمة المصادر والمراجع.

٨- مراعاة عدم ذكر اسم الباحث/ أسماء الباحثين أو ما يشير إليه/ إليهم في متن البحث.

قواعد التوثيق

١- يُذكر التوثيق في الهوامش بأرقام مستقلة في أسفل كل صفحة على حدة.

٢- يُراعى في أسلوب التوثيق في الهوامش عدم كتابة المعلومات مفصّلة إلا في قائمة المصادر والمراجع؛ وفق الأمثلة الآتية:

- عند عزو الآيات القرآنية: سورة البقرة:٥٠.
- عند تخريج الأحاديث النبوية: رواه الربيع بن حبيب في كتاب الصلاة ووجوبها، باب: في أوقات الصلاة، برقم ١٧٨، من طريق أنس بن مالك، ص١٦.
- عند ذكر المصْدر أو المرْجع: السالمي، **مشارق أنوار العقول**، ص٢٧٠.
- عند ذكر المرجع الأجنبي:

.Walters, M., *Feminism a Very Short Introduction*, p. ٦٤

- المخطوط: الرقيشي، **مصباح الظلام**، مخطوط، ص٨.
- الرسالة العلمية: المعولي، **الدلالة اللغوية وأثرها في توجيه الحكم الشرعي عند أجوبة المحقق الخليلي**، رسالة ماجستير، ص٦٠.
- المقال في مجلة محكمة: الشعيلي، السياق وأثره في الحكم على أسباب التنزيل: دراسة نظرية وتطبيقية **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، ص ٢٤٠.
- الشبكة العنكبوتية: بنعمر، **الدرس اللغوي عند الأصوليين**، مركز نماء للبحوث والدراسات، موقع إلكتروني.

٣- تُذكر التفاصيل في قائمة المصادر والمراجع وفق الأمثلة الآتية:

- الكتب العربية

الكتاب الذي خُرّج منه الحديث: الفراهيدي؛ الربيع بن حبيب، **الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بين حبيب**، مسقط: مكتبة الاستقامة، ط١ ،١٩٩٥م.

الكتاب المحقق: السالمي، عبد الله بن حميد، **مشارق أنوار العقول**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الكتاب المترجم: دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨م.

كتاب لمؤلفين معاصرين: أبو غزالة، إلهام، وحمد؛ علي خليل، **مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٩م.

- الكتب الأجنبية

Walters, M., *Feminism a Very Short Introduction*, Oxford .University Press. ٢٠٠٥

- المخطوطات

الرقيشي، خلف بن أحمد، **مصباح الظلام**، دار الوثائق والمخطوطات، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، رقم ٥٢١٩٠.

- الرسائل الجامعية

المعولي، سيف بن سليمان بن ناصر، **الدلالة اللغوية وأثرها في توجيه الحكم الشرعي عند أجوبة المحقق الخليلي**، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

- المجلات والدوريات

الشعيلي، سليمان بن علي بن عامر، السياق وأثره في الحكم على أسباب التنزيل: دراسة نظرية وتطبيقية، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**, ٢٠١٢م، ٢٧ (٩٠)، ٢٣٩- ٢٩٣.

- الشبكة العنكبوتية

بنعمر، محمد، **الدرس اللغوي عند الأصوليين، مركز نماء للبحوث والدراسات**، موقع إلكتروني:< http://www.nama-center.com/ActivitieDatials.aspx?Id=٣٥> شوهد في: فبراير، ٢٨، ٢٠٢٠م.

٤- تُضاف بعض الرموز في حال عدم توفر بعض البيانات كالآتي: بدون مكان النشر: د.م، بدون اسم الناشر: د.ن، بدون رقم الطبعة: د.ط، بدون تاريخ النشر: د.ت.

إجراءات التحكيم والنشر

١- تقوم هيئة التحرير بالمجلة بفحص البحث فحصا أوّليا لتقرر أهليته للتحكيم أو رفضه.

٢- يُحال البحث المقبول للتحكيم إلى مختصين اثنين، لتحْكيمه علميًّا، وفي حال اختلافهما، يُعرض على هيئة التحرير؛ لتقرر الحاجة إلى إحالته إلى محكم ثالث، أو الاعتذار عن عدم نشره.

٣- في حال قبول البحث للنشر في المجلة مع التعديل يقوم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة، ويعد البحث مرفوضا إذا لم يجر الباحث التعديلات المطلوبة في المدة التي تحددها هيئة التحرير.

٤- للمجلة الحقّ في طلب حذف أيّ جزء من البحْث، أو تعْديله بما يتفق مع رؤية المجلة، وأهدافها.

٥- في حال قبول البحث من غير تعديل، أو قام الباحث بالتعديلات المطلوبة، فإنه يُرسل له خطاب بالقبول النهائي متضمنا وعدا بالنشر، مع بيان العدد الذي سينشر فيه.

٦- في حال عدم قبول البحث للنشر، يتلقى الباحث إخطارا بالاعتذار عن عدم النشر في المجلة.

ملحوظات عامة

١- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٢- في حال قبول البحث للنشر تؤول جميع حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.

٣- للمجلة حق إعادة نشر البحوث التي سبق لها نشرها ورقيا أو إلكترونيا، دون حاجة لإذن الباحث، ولها حق منح الإذن بإدراج بحوثها في قواعد البيانات المختلفة، سواء أكان ذلك بمقابل أم بدون مقابل.

٤- يخضع ترتيب البحوث وأولوية نشرها لاعتبارات فنية تحددها هيئة التحرير.

٥- يعد قيام الباحث بنشر البحث، ورقيا أو إلكترونيا، قبل تلقي قرار المجلة بشأن نشره، أو بعد نشره في المجلة، سلوكا غير مقبول، ويحق للمجلة اتخاذ ما تراه مناسبا حيال الباحث.

النشأة الإنسانية بين الحيرة البشرية والحقيقة القرآنية

دراسة في قصة خلق آدم

Human Creation Between Human confusion and Quranic Truth

A study in the story of Adam's creation

د. سعيد بن راشد الصوافي (أستاذ مشارك) Said Rashid Al Sawafi (Associate Professor)

alsuwafi@squ.edu.om

جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان Sultan Qaboos University- Sultanate of Oman

تأريخ استلام البحث: ٢٠٢٠/١١/٠٢م تأريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٠٥/١٠م

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مفهوم النشأة الإنسانية. وإظهار سبب تيه الإنسانية في إدراك حقيقة نشأتها، وزيف النظريات الفرضية التي أنتجتها العقول البشرية. والكشف عن الحقيقة القرآنية في أصل النشأة الإنسانية. واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي في آيات القرآن الكريم المتعلقة بخلق الإنسان وقصة خلق آدم، وكذلك القراءة فيما كُتب حول النظريات الفرضية للنشأة الإنسانية وجدلياتها والردود عليها. كما اعتمدت على المنهجين الوصفي والتحليلي في عرض المادة العلمية. وتوصلت إلى نتائج أهمها: يختلف مفهوم النشأة الإنسانية باختلاف التوجهات والأفكار، والمشكلة الأساس في هذا الموضوع يتمثل في التصورات التي ينطلق منها الفكر الإنساني في تحديد حقيقة ثلاثة أمور: الكون، والحياة، والإنسان، وأن الإلحاد هو السبب الرئيس في إيجاد البديل عن الحقيقة القرآنية لنشأة الإنسانية، فالملحد لا يؤمن بوجود خالق، وإنما يرى أن هذا الكون تكوّن بفعل الطبيعة، وكل الموجودات على هذا الكوكب إنما جاءت بالصدفة. وكشفت الدراسة بما لا يدع مجالاً للشك الحقيقة القرآنية لنشأة الإنسانية، فمجموع النصوص القرآنية في نشأة الجنس البشري، تؤكد أن إعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية، ووظائفه المستقلة كان مصاحباً لخلقه. وأن آدم هو النواة الأولى لنشأة الإنسانية، فالتصور القرآني يؤكد أن الله تعالى خلق آدم، ومنه خلق زوجه حواء، ومنهما جاءت الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: النشأة الإنسانية، نشأة الإنسان، قصة خلق آدم، أصل الإنسانية.

Abstract

This study aimed to clarify the concept of human creation to show why the humanity was lost in realizing the truth of its creation, and the erroneous hypothetical theories about the creation. The paper reveals the Quranic truth on the origin of human creation. It used on the inductive, descriptive and analytical approaches to tackle the verses of the Noble Qur'an related to the creation of Man and the story of Adam's creation, in addition to the reading on human emergence, along with the controversies and responses to them. Among the many results reached, one can mention: The concept of human emergence differs according to different trends and ideas. The main problem in this topic is the perceptions from which human thought determines the truth of three themes: the universe, life, and Man. Atheism is the main reason for finding an alternative to the Qur'an truth for its emergence. The atheist does not believe in the existence of a creator. Rather, he sees that this universe has a natural origin, and all the things on this planet came by chance. The study revealed beyond any doubt that the Qur'anic truth of the emergence of humanity. The collection of Qur'anic texts on the emergence of the human race confirms that giving this being its human characteristics and its independent functions was associated with its origins. Thus, Adam is the first nucleus for the emergence of humanity. The Qur'an conception confirms that God Almighty created Adam, and from it he created his wife Eve, and from them came humanity.

Keywords: Human Creation, story of Adam's creation, Quranic truth.

المقدمة

الإنسان ذلكم المخلوق الغريب العجيب، الذي لم تتوصل الإنسانية إلى كنهه، أو معرفة أبسط أسرار خلقه، مع ما وصلت إليه من علوم واكتشافات وتقنيات، إنه حقاً لشيء عجيب، حاول المفكرون والفلاسفة والعلماء على مر حقب التاريخ أن يسبروا غور أسرار هذا المخلوق العجيب؛ من أين جاء؟ ما أصله؟ كيف تكوّن؟ وحاول هؤلاء بفرضياتهم أن يُقدِّموا بعض التفسيرات حسب قدراتهم العلمية المحدودة؛ لكن العالَم يتفاجأ أنَّ العِلْم كلما تقدم دحض هذه النظريات، ونسف ما توصلوا إليه من نتائج ودراسات، فكلما جاءت نظرية نسفت أختها الكبرى، "فالنظريات بطبيعتها متغيرة، والعلم المنظور إليه من زاويتها متحرك؛ إذ إنه من المحتمل أنَّ أي تصور صالح اليوم يصبح غير مقبول غداً"(١)، إنَّ الوحيد الذي يعرف أسرار الإنسان هو موجده، الذي لم يتركه سدىً مع الأفكار والنظريات التائهة؛ بل بيّن له منشأه وغايته في الوجود ومصيره؛ فالعلم وحده غير قادر على إدراك هذه الأمور؛ لأنها أمور تغوص في عالم الغيب، وعالم الغيب محجوب عن الإنسان ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] فقد استأثر الله بعلم الغيب، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا ما أخبر عنه الله تعالى، وقد بيّن الخالق سبحانه في القرآن الكريم النشأة الإنسانية في أكثر من مناسبة، وضمّنها ما تحتاجه البشرية من معلومات حول نشأة الإنسان بما لا يدع مجالاً للشك والحيرة، ولا للفرضيات الظنية والتكهنات المتخبطة، ومن أكبر الأدلة على خلق الله الإنسان قصة خلق آدم؛ فهي القضية الأساسية في حياة الإنسانية؛ لأنها تعطي الإنسان التصور الصحيح الذي يصله بمنبعه الأصلي، وسر وجوده على كوكب الأرض، وموقعه بين مخلوقات هذا الكون، وعلاقته بمن حوله، ثم إن هذه القصة لا تكتفي بذلك؛ بل تتابع السير مع هذا الإنسان، لتحدد وظيفته في هذه الحياة، وترسم له المنهج الذي ينبغي أن يتبعه، وتحدد المصير الذي سيؤول إليه.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في بيان النشأة الإنسانية من خلال القرآن الكريم، ودراسة قصة خلق آدم عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، مع بيان سبب حيرة البشرية في أصل الإنسان، ويتفرع عن تلك المشكلة الإشكاليات البحثية الفرعية الآتية:

١. ما مفهوم النشأة الإنسانية؟

٢. ما سبب تيه الإنسانية في إدراك حقيقة نشأتها؟

٣. ما حقيقة النشأة الإنسانية في القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى الآتي:

بيان مفهوم النشأة الإنسانية.

بيان سبب تيه الإنسانية في إدراك حقيقة نشأتها، وزيف النظريات الفرضية التي أنتجتها العقول البشرية.

الكشف عن الحقيقة القرآنية في أصل النشأة الإنسانية المتمثلة في قصة خلق آدم، وإبراز دلالاتها.

---

١) بوكاي، **أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية**، ص١٩٤.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذ الدراسة في أنها تعالج هذا الموضوع من خلال البراهين المستندة على الدليل النقلي الذي يُعدّ الفيصل في هذه القضية الغيبية التي لم يشهدها أحد من البشر، وإنما انطلقوا في بيانها من مجرد التخيلات والفرضيات التي لا تستند إلى دليل صحيح؛ فتكشف هذه الدراسة عن الموضوع بأدلة ثابتة صادقة، وردت من مدبر الكون وخالق الإنسان.

الدراسات السابقة: حظي الإنسان بكتابات كثيرة حول خلقه ونشأته، تناولت قضاياه من جوانب متنوّعة، وأهم الدراسات التي اطلعت عليها في هذا الموضوع هي:

١- كتاب أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، للطبيب الجراح الفرنس المشهور موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان، نشر الكتاب عام ١٩٨١م. انكبّ المؤلف في كتابه على بحث أصل الإنسان، وتطرق إلى موضوع شغل العالم فترة من الزمن على أثر انتشار نظرية داروين القائلة بأن الإنسان انحدر من سلالة القردة، فدحض المؤلف هذه النظرية ورفضها لعدم ارتكازها على أسس علمية ثابتة، وأثبت موريس في كتابه - بعد اعتكافه على دراسة اللغة العربية والقرآن الكريم - أنه لا تعارض بين العلم والدين في أصل الخلق وعمر الأرض، وأبطل كل الأوهام التي لا أساس لها؛ استفدت من هذا الكتاب في بعض جزئيات البحث.

٢- كتاب سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، لمؤلفه: محمود محمد غريب؛ تناول المؤلف في هذا الكتاب تفسير سورة الواقعة تفسيرًا موضوعيًا، ومن خلال حديثه عن البعث - وهو غرض من أغراض السورة - عرض للحديث عن الاستدلال بالبعث على أصل الإنسان، ومناقشة النظرية الداروينية، وذلك من خلال قاعدة خلق الإبداع، وخلق الإرجاع، واستفدت منه في مواضع مختلفة من البحث.

٣- دراسة حقيقة الوجود البشري وانعكاساتها التربوية في ظل قصة خلق آدم — عليه السلام — في القرآن الكريم (بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة) للباحث: محمد عبد المحسن عبد الكريم العبد المحسن، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ)؛ هدفت الدراسة إلى الوقوف على حقيقة الوجود البشري، وقصة خلق الإنسان ووجوده وبيان الخصائص العامة للإنسان والحياة الإنسانية. تعالج هذه الدراسة قضية حقيقة الوجود البشري؛ لكن التركيز فيها على الجوانب التربوية المنعكسة من قصة آدم، وقد استفدت منها في بعض الجزئيات.

٤- موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة (من منظور علمي بحثي) للمؤلف: أحمد شوقي إبراهيم، وقد خصص المؤلف الجزء الأول من هذه الموسوعة عن نشأة الإنسان وخلقه، وتناول قضايا متعددة؛ منها: كيف بدأ خلق آدم، وعالم الأجنة، وأسرار الروح والنفس، وعالم الحواس وشهادتها على صاحبها يوم القيامة، وغير ذلك من القضايا الفقهية كالاستنساخ والرحم المستأجرة، واستفدت منه في بعض الجزئيات.

المنهجية: اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي في آيات القرآن الكريم المتعلقة بخلق

الإنسان وقصة خلق آدم، وكذلك القراءة فيما كُتب حول النظريات الفرضية للنشأة الإنسانية وجدليتها والردود عليها، كما اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي في عرض المادة العلمية.

الخطة: تمثلت خطة الدراسة في الآتي:

المقدمة: تضمنت: مشكلة الدراسة، أهداف الدراسة، أهمية الدراسة، الدراسات السابقة، المنهجية، الخطة.

- المبحث الأول: مفهوم النشأة الإنسانية.
- المبحث الثاني: تيه الإنسانية في إدراك حقيقة نشأتها.
- المبحث الثالث: الحقيقة القرآنية في نشأة الإنسانية.
- الخاتمة: أهم النتائج.

المبحث الأول: مفهوم النشأة الإنسانية

أفردْتُ مفهوم النشأة الإنسانية بمبحث خاص لأهميته؛ فإن لتحديد المفاهيم أهمية قصوى في اتباع منهجية رصينة في البحث، ومفهوم النشأة الإنسانية – خاصة – يتخذ أبعاداً ومناحٍ مختلفة، كما يقال: "لا مشاحة في المصطلحات"؛ فكل فئة تنطلق من فكرها وتصوراتها واتجاهاتها في تحديد المفاهيم؛ ولذلك تبني تصوراتها على ذلك المفهوم، وتخرج بنتائج مبنية على قواعد ومبادئ فكرها، ولضبط هذا الأمر سأنطلق في بيان هذا المفهوم من خلال آيات القرآن الكريم؛ لأنه الأساس في مبنى هذه الدراسة، ولأنه المصدر الأصيل في العلوم والمعارف والاتجاهات والتصورات، خاصة في هذه المسألة التي لا تعتمد على الفكر الإنساني القاصر المحدود؛ لأن ركيزتها الأساسية جانب غيبي فيجب الانطلاق فيها من النص السماوي وإعمال العقل الصحيح في تناول الموضوع، حتى يخرج بنتائج صحيحة صائبة موافقة للحقائق الواقعية.

أولاً– معنى النشأة: النشأة مصدر نشأ، جاء في لسان العرب في مادة (نشأ): نشأ: أَنْشَأَه اللَّهُ: خَلَقَه. وأَنْشَأَ اللهُ الخَلْقَ أَي ابْتَدَأَ خَلْقَهم(٢). قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الملك: ٢٣]، أي ابتدأ خلقكم(٣). وورد في كتب اللغة العربية أيضاً أن النَّشأة: هي إحداث الشيء وتربيته، أو الإيجاد والتَّربية (٤). قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، "فهذه كلُّها في الإيجاد المختصِّ بالله"(٥)، فالإنشاء الاختراعي غير المسبوق بمثالٍ، لا يليق إلا بالباري سبحانه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨](٦). فالضمير المنصوب مُرادٌ به البَشَرُ كُلُّهم. والنفس الواحدة هي آدَمُ عليه السَّلام(٧).

وجاء في القرآن الكريم: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ [الواقعة: ٦٢]. ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]؛ فالنَّشأة الأولى هي الخلق أوَّل مرَّة في الدنيا، والنَّشأة الأخرى، هي الخلق الثَّاني للبعث يوم

٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص١٣٤.
٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٣٤٠.
٤) الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ص٥٤٧. ومجموعة، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص ٩٢٠.
٥) الراغب الأصفهاني، ص٥٤٧.
٦) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٤، ص١٧٥.
٧) ابن عاشور، **التحرير**، ج٧، ص٣٩٥.

القيامة في الآخرة[٨]، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. قال الألوسي: "والنشأة الإيجاد والخلق، والتعبير عن الإعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى؛ للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسماً، من حيث إنَّ كلّاً منهما اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود، ولا فرق بينهما إلا بالأولية والأخروية، كذا قيل"[٩]. وهنا "يربط القرآن بين النشأة الأولى في صورتها الأصلية (خلق آدم) وفي صورتها المتكررة من ناحية، وبين النشأة الثانية للبعث والجزاء من ناحية أخرى؛ ليدلل بخلق الإبداع عن خلق الإرجاع"[١٠]. فقوله: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ [الواقعة: ٦٢] يعني خلقكم الأول، وهو ما ثبت بالدليل من خلق أصلكم من ترابٍ، أو خلق أنفسكم من كونكم نُطَفاً في أصلاب الآباء، ثم تُقذف في بطون الأمهات، ثم تتطوَّر تلك النطفة إلى أن تخرج بشرًا سويًا؛ لا يكابر في ذلك إلا معاند. وجُعلت الأولى باعتبار النشأة الأخرى، وهو بعثهم أحياءً بعد إماتتهم وصيرورتهم رِمَمًا؛ قال تعالى: ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ [العنكبوت: ٢٠] جعلها نشأة باعتبار تفرق أوصالهم، وبلاء أجسادهم، وتقطع أبدانهم[١١].

ويتداخل لفظ الإنشاء مع لفظ الخلق؛ فالخلق: ابتداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [التغابن: ٣] وهذا يختص به الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ ولذلك فرّق بينه وبين غيره في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]. ويُستعمل الخلق في إيجاد شيء من شيء، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، وهذا النوع قد يُقدّر بعض خلقه عليه، كما أقدر عيسى عليه السلام على خلق الطير من مادة الطين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠][١٢]، قال أبو بكر بن الأنباري: الْخَلْقُ فِي كلام العرب على وجهين: أَحدهما الإِنْشاء على مِثَال أبدعه، والآخرُ التَّقْدِير[١٣]. والخلق في الأساس يختص به الله تعالى دون سواه، فهو لله وحده، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]؛ أي: "هو المبتَدِئُ للخَلْقِ المخترِع له على غير مثال سبق"[١٤]. قال الأزهري: "ومن صفات الله الخالق والخلَّاق، ولا تجوز هذه الصفة (بالألف واللام) لغير الله عزَّ وجلَّ، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة"[١٥]؛ فالخلق إذن هو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، سواء كان إخراجاً من العدم المحض كما هو شأن الكون، الذي لم يكن له وجود في الأزل، ولم تكن له مادة أزلية سابقة على وجوده، بدلالة العقل

٨) يُنظر: الفيروز أبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج٢، ص٨٩. والسيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج٢، ص٥٥٣.

٩) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٠، ص٣٥٢.

١٠) غريب، **سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)**، ص١٢١.

١١) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٤، ص١٧٥.

١٢) **المرجع السابق**، ج٢، ص٥٢٦.

١٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص١٩٣.

١٤) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج٤، ص٢٦٥.

١٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص١٩٢.

والشرع أم كان بتصريفه من حال إلى حال كما صرَّف الله تعالى الطين، فكان منه الإنسان الأول آدم عليه السلام، ثم خلق الله ذريته من بعده من نطفة، وجعلها أطواراً حتى خرج منها الإنسان(١٦).

وفرَّق القاضي بين (خَلَقَ) و(أنشأ) الواردة في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿أَنشَأَكُم﴾ وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾؛ بأنَّ أنشأكم يفيد أنه خَلَقكم لا ابتداء، ولكن على وجه النمو والنشوء، لا من مَظْهَرِ من الأبوين، كما يقال في النبات إنه تعالى أنشأه بمعنى: النمو والزيادة إلى قوت الانتهاء(١٧).

ثانياً– معنى الإنسانية: الإنسانية نسبة إلى الإنسان، وورد في معاجم اللغة، أن الإنسان: من الناس؛ اسم جنس، يقع على الذكر والأنثى، والواحد والجمع(١٨)، واختلف اللغويون في اشتقاق لفظ الإنسان؛ فيرى الكوفيون أنه مشتق من النسيان(١٩)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، قال الزبيدي: "وإنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عُهد إليه فنسي"(٢٠). ويرى البصريون أنه مشتق من الأُنس(٢١). قال الجرجاني (ت: ٤٧١هـ/١٠٧٨م): والأنيس أيضاً بمعنى الإنسان، سمي به لأنه يأنس ويؤنس به، وقيل للإنسان أنسان: أنَسَ بالحق، وأَنَسَ بالخلق، وقيل: لأنه له أُنساً بالعقبى، وأُنساً بالدنيا(٢٢). وورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم كثيراً، نكتفي منها بقول الله تعالى في معرض تذكير الإنسان بأصل خِلقته، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧]، فالإنسان في مفهوم القرآن الكريم: عقل وروح ومادة تنتظم في بنية واحدة بانسجام كامل(٢٣).

أما مفهوم الإنسان اصطلاحاً؛ فإنه "من المحال – تقريباً – التوافق على تعريف منطقي دقيق عن الإنسان؛ لأنه يختلف باختلاف النظرات العلمية للمدارس الفلسفية والعقائد الدينية المتنوعة"(٢٤). والنقطة الأساس في تحديد المفهوم التي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان هي حقيقة نشأة الإنسان، حتى نستطيع الوصول إلى تعريفه الصحيح، وهنا تكمن نقطة الافتراق والاختلاف بين الاتجاهات في النظر إلى نشأة الإنسانية، ونحن لا نريد أن نُدخِل أنفسنا في خِضمّ المصطلحات الفلسفية، أو التعريفات المختلفة للإنسان؛ كي لا نغرق في دوامة التفسيرات اللفظية والتحديدات المنطقية، فنشط عن السبيل الذي نريد أن نسلكه، وهو صياغة مفهوم الإنسانية، وفي سبيل ذلك يجب أن نبحث عن الإنسان نفسه من خلال القرآن الكريم(٢٥)؛ لأن العلم إلى وقتنا هذا "لم يصل إلى

١٦) الخليلي، **مصرع الإلحاد**، ج٢، ص٤٤٨.
١٧) أبو عادل الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج٨، ص٣١٤.
١٨) الفيومي، **المصباح المنير**، ص٣٥.
١٩) **المرجع السابق**، الصفحة ذاتها.
٢٠) الزبيدي، **تاج العروس**، ج٤، ص١٠٣.
٢١) الفيومي، **المصباح المنير**، ص٣٥.
٢٢) الجرجاني، **التعريفات**، ص٣٥.
٢٣) الدغامين، **إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل**، ص٢٠٥.
٢٤) شريعتي، **الإسلام ومدارس الغرب**، ص٣٥.
٢٥) الصوافي، **الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم**، ص٢٠.

معرفة حقيقة نشأته، وحقيقة تكوينه الروحي والعقلي، وكلما تقدم العلم خطوات أحس العلماء بأن لغز الحياة ما زال بعيداً جداً عن إدراكهم، ويعتبر العصر الحديث هو عصر الإقرار بهذه الحقيقة بعد أن كشف العلم بعض أسرار الوجود، وصُدم العلماء بحقائق مذهلة لم يستطيعوا لها تفسيراً، وأدركوا أن كل الأفكار والنظريات التي قالت بالمصادفة أو التطور المادي في الخلق لم تكن نتيجة العلم، بقدر ما كانت نتيجة الجهل بما في تكوين الإنسان من أسرار"(٢٦).

وقد حاول كثير من العلماء التوصل إلى تعريفٍ للإنسان(٢٧)، وقدَّم كثير منهم أبحاثاً؛ ولكنها لم تكشف إلا عن كونه كائناً حيوياً عاقلاً، أما عن أسراره الروحية وقواه المدركة ونحوها، فإنهم لم يستطيعوا إدراك كنهها، ولم يُقدِّموا الشيء الذي نستطيع الاعتماد عليه، والخطأ الكبير أنَّ هؤلاء الباحثين ينطلقون في أبحاثهم من العقل المحض، أو من منطلق المادة، وهذا يتناول جانباً واحداً من الإنسان، وهو غير كاف لتعريف الإنسان(٢٨). حتى إنَّ بعض الباحثين بعد أن أتعب نفسه في البحث ليتوصل إلى معرفة ما الإنسان؟ اعترف بأنه لم يصل إلى التعريف المرجو فقال: "إنه من العسير على الإنسان الإجابة عن سؤال ما الإنسان؟ ثم قال: إن المحاولات التي بذلت في سبيلها غير نهائية"(٢٩).

إن الإجابة عن سؤال ما الإنسان؟ يجب أن تنطلق أبحاثها من آيات القرآن الكريم؛ لأنه هو المصدر الرباني الذي يستطيع أن يُقرِّب الإنسان إلى معرفة نفسه، وإن لم يدرك كنهها وأسرارها. وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن الإنسان في المفهوم القرآني: "قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢](٣٠). وهو متشكِّلٌ من "عقل وروح ومادة تنتظم في بنية واحدة في انسجام كامل"(٣١).

ومن ذلك كله نخلص إلى أنَّ المقصود بمفهوم النشأة الإنسانية هو: ابتداء نشأة الإنسانية، وتحديد أصلها، أو ابتداء خلق الإنسان وإيجاده، وهو مختص بالله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: تيه الإنسانية في إدراك حقيقة نشأتها

المشكلة الأساس في قضية النشأة الإنسانية تتمثل في التصورات التي ينطلق منها الفكر الإنساني في تحديد حقيقة ثلاثة أمور: الكون، والحياة، والإنسان. وحقيقة هذه الأشياء مربوطة رباطاً وثيقاً بمسألة الإيمان بالله سبحانه وتعالى الخالق المنشئ المدبر لهذا الكون بما فيه وبمن فيه، ومسألة الإيمان بالله يمكن التوصل إليها بخاصة العقل النظيف الذي لم تكدر صفوه الملوثات والفلسفات والأفكار المنحرفة، الذي يتأمل ما يحويه الكون من مخلوقات عجيبة الصنع بالغة التعقيد، فضلا عن تأمل ما أنزل الله على رسوله الخاتم، باعتباره نصاً محفوظاً من التحريف، وبذلك يستطيع الفكر الإنساني

٢٦) شديد، **قيمة الحياة في القرآن الكريم**، ص٣١.

٢٧) يُنظر: فرج، **مقال في الإنسان والتوحيد**، ص١٦-١٩، فقد أورد كثيراً من تعريفات الباحثين والعلماء للإنسان.

٢٨) الصوافي، **الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم**، ص٢٠.

٢٩) هو محمد عزيز الجبائي، يُنظر: **فرج، مقال في الإنسان والتوحيد**، ص١٦.

٣٠) قطب، محمد، **دراسات في النفس الإنسانية**، ص٤٣، ٤٤.

٣١) الدغامين، **إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي**، ص٢٠٥.

أن يستنير ويتلمس نور البصيرة اتجاه الصراط الذي يوصله إلى الحقائق التي لا شبهة فيها.

إن انطماس البصائر وفساد العقول هو الذي أدى بكثير من الناس إلى الإلحاد وعدم الاعتراف بالله سبحانه والإيمان به، وهو ليس بجديد، إنما قديم قِدم الأمم الإنسانية المتعاقبة، فالقرآن الكريم يُحدّثنا عن ذلك في قوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فهؤلاء الذين عزوا إهلاكهم إلى الدهر أبعدوا عن عقولهم اعتقاد كون الله تعالى مبدئاً للخلق ومعيده، فهم كملاحدة العصر الذين يعتقدون أن الطبيعة هي التي تُصرِّف الكون، فهي التي تُنشئ المعدوم، وتُعدم الموجود(٣٢).

لقد عاشت الإنسانية في تيه عن الحقيقة التي تبحث عنها؛ لأنها تدور في حلقة مفرغة، حاول الإنسان منذ أزمان بعيدة وعبر قرون مديدة أن يسبر أغوار الإنسان، ويكتشف أسرار المصدر الإنساني، وما يزال يدور في حلقته المفرغة؛ لأنه يتصامم عن قبول الحقيقة الواضحة، ولو أنه فتح عينيه قليلاً لوجد ضالته المنشودة، وأراح عقله التائه فيما لا طائل تحته، وعلى الرغم من الجهود الحثيثة المتواصلة من الفلاسفة والمفكرين والباحثين في استكشاف هذا الإنسان وحقيقته؛ ليقينهم أن "العلم بالإنسان أمثل سبيل للعلم بالإنسانية"(٣٣) إلا أنهم لم يبلغوا معشار ما يطمحون، مما حدى بأحدهم إلى القول بعد بحث مضنٍ حول حقيقة الإنسان: "ولقد انكشف لنا عن الكثير من أمره، ولكن تبقّى الأكثر مما لم يُعرف، فالإنسان ما يزال قادراً على الإفلات من ثقوب الشباك التي نحاول أن نصيده بها، إنه عَقِد بحيث يتعذر أن يُحصر في قالب، شقيت النواحي، بحيث يعسر أن يُعرف ببساطة، إنه مزيج من المتناقضات المحيّرة، إنه ما يزال بحق؛ جلال الكون ونكتته وسِرَّه"(٣٤). نعم فلا عجب من هذا القول؛ لأن القرآن الكريم بيّن لهم: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. فأنّى للإنسان أن يُدرك كنهه ويعرف حقيقته مع محدودية علمه!

جدلية النشأة الإنسانية جاءت نتيجة اجتهادات عايشتها البشرية منذ زمن طويل، خاصة الاتجاهات الفلسفية قديماً، ثم العلمية التجريبية حديثاً، ولكن تبقى كلها نظريات ظنية لا دليل قاطع على صدقها، والسبب الرئيس في إيجاد البديل عن الحقيقة القرآنية لنشأة الإنسانية هو الإلحاد، الذي لا يؤمن بوجود خالق، وإنما يرى أن هذا الكون تكوّن بفعل الطبيعة، وكل الموجودات على هذا الكوكب إنما جاءت بالصدفة؛ لذلك يقول الملحد (جورج والد)(٣٥) – الحائز على نوبل – ما نصه "عندما يتعلق الأمر بأصل الحياة، لا يوجد سوى احتمالين، هما: الخلق أو النشوء التلقائي، لا يوجد طريق ثالث، والنشوء التلقائي تم دحضه قبل مائة سنة، ولكن هذا يقودنا إلى استنتاج واحد آخر فقط وهو الخلق الخارق للطبيعة، ولا يمكننا قبول ذلك لأسباب وأسس فلسفية؛ ولذلك فإننا

٣٢) الخليلي، **مصرع الإلحاد**، ج١، ٤١٤-٤١٥.

٣٣) المقولة للشاعر "بوب"، يُنظر: **داروين، أصل الأنواع**، ص٥٢.

٣٤) **المرجع السابق**، ص٥٢.

٣٥) جورج والد، ملحد، ومتخصص في البيوكيمياء وعلم وظائف الأعضاء، جامعة هارفرد، حائز على جائزة نوبل. يُنظر: **muslims-res.com**

اخترنا أن نعتقد المستحيل، وهو أن الحياة نشأت تلقائيا عن طريق الصدفة."[٣٦]، وهذا الكلام مثار سخرية عند العقلاء؛ إذ العاقل لا ينطلق في اعتقاده من مجرد الظن.

والمتأمل في كلام كثير من العلماء الذين انفلتوا من ربقة التقليد أو المجاملة؛ يجد أن كلامهم واضح في الاستخفاف بهذه النظريات التي يُعوزها الدليل القاطع، فقد جاء في الموسوعة العالمية لعام ١٩٦٦م ما يأتي: "يجب ألا ينخدع أحد إلى حَدٍّ يؤكد فيه بأن التطور ظاهرة مفهومة"[٣٧]، ويقول كلارك: "من المؤسف أن تكون كل الأجوبة التي طرحت لمعرفة أصل الإنسان تقوم على دلائل غير مباشرة، وأكثرها يقوم على فرضيات"[٣٨]. ووصل الأمر بالعالم الفسيولوجي (تهميسيان) بعد أن تفرغ سنوات طوال لدراسة التطور أن يقول: "إن العلماء الذين يؤكدون على أن التطور واقع علمي هم منافقون، وأن ما يرونه من أحداث إنما هو من الشعوذات التي ابتدعت، ولا تحتوي على نقطة واحدة من الحقيقة؛ لأن النظرية كما يقول خليط من الأحاجي وشعوذة الأرقام[٣٩].

وحتى الذين يعوّلون على العلم التجريبي في إثبات نظرية ما إنما يعتمدون على الملاحظة والمشاهدة وعلى التجربة، لذلك فإن العلم لا يستطيع أن يُثبت نظرية النشأة الإنسانية عن طريق عملية النشوء والارتقاء؛ لأنه لم يحصل أن ثبت بالتجربة والمشاهدة أن تطوّر نوع من أنواع الكائنات إلى نوع آخر حقيقي، وكل ما توصلوا إليه من دراسات ونتائج إنما كان نتيجة اكتشافات واحتمالات ظنية يعوزها الدليل القاطع الجازم، والحقائق لا تُبنى على مجرد نتائج ظنية؛ لذا كان نفور العلماء العاقلين المتبصرين واضحاً من هذه النظريات الافتراضية، وأصبحت هذه النظريات متهالكة لا تقوى على التعويل عليها كأساس ينبني عليه حقائق؛ يقول (أيزلى) في مقال نشر بمجلة العلوم الأمريكية: إننا لا نملك هيكلاً عظمياً تاماً لقرد صغير ناهيك عن أن نجد هيكلاً لإنسان قديم ونحن عالة في معرفتنا بتاريخ تطور الإنسان الأول على قليل من العظام وعلى أسنان محطمة، هذا فضلا عن أن المستحاثات آتية من أماكن مختلفة متباعدة، بعضها عن بعضها الآخر آلاف الكيلومترات، وهى مبعثرة في طول وعرض القارات القديمة، ولذلك فإننا ننتهى بهز رؤوسنا مقرين بالعجز، وكأننا في تيه، وقد نسينا من أي طريق دخلنا[٤٠]. والتخبط الكبير لأصحاب النظريات، والرفض القاطع من كثير من العلماء العقلاء، يجعلنا لا نطيل كثيراً؛ فإنها نظريات وهمية متهالكة، ففي كل وقت يأتي عالم بنظرية، ثم ينقضها آخر، وما تزال البشرية في تخبط، وليس لها مجال سوى الرجوع إلى المصدر الأصيل في إثبات الحقائق الغيبية، وليس هناك مرجع أصيل سوى القرآن الكريم، فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي تم حفظه من أن تناله يد التحريف، والذي أتى بحقائق لا تقبل النقض ولا الرد، فأي تفسير لنشأة الحياة يخالف ما أخبر به القرآن الكريم فهو ضرب من الغيب، وإذا كان أصحاب العلم التجريبي لا يؤمنون بالمغيبات كما يدعون، فما سرُّ إيمانهم بقضايا لم يحيطوا بها علماً، ولم

---

٣٦) **المرجع السابق**، نقلاً عن: The Origin of Life, Scientific American, ١٩١:٤٨, May ١٩٥٤

٣٧) غريب، **سورة الواقعة ومنهجها في العقائد**، ص١٠٨.

٣٨) **المرجع السابق**، الصفحة ذاتها.

٣٩) **المرجع السابق**، الصفحة ذاتها.

٤٠) غريب، **سورة الواقعة ومنهجها في العقائد**، ص١١٣.

تخضع لتجاربهم المعملية[٤١]، فمثل هؤلاء كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

إنَّ نشأة الكون بمحتوياته من كائنات فيه كثير من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، ويجب أن يتعانق في دراستها العقل مع النقل، دون التفريط في أحدهما، وهذا ما افتقده أصحاب النظريات الباحثة عن نشأة الإنسان وأصله؛ مما جعلهم في تخبط وحيرة. يقول بوكاي: "أما بالنسبة للقرآن الكريم فإن أفكاراً مغلوطة كانت تُتداول في بلادنا مدة طويلة، ولما تزل كذلك بصدد مضمونه وتاريخه. ومن الضروري جداً أن نستبق الأمور بعرض المعطيات التي يعبر بها عن الإنسان عن طريق ترابط ظروف إبلاغه للبشر. لا جرم أن الثوابت المتعلقة بالإنسان المستخرجة من آياته ستدهش غيري كما أدهشتني عندما اكتشفتها، فضلا عن أن مقابلة النصين التوراتي والقرآني مثيرة جداً؛ إذ إن كلاً منهما يُذكّر بالإله الخالق، غير أننا ندرك من خلال هذه المقابلة بأن التفاصيل الوصفية عن الخلق الواردة في التوراة – وهي غير مقبولة علمياً – لا نجدها في القرآن الكريم؛ بل على العكس فإن القرآن الكريم يتضمن في آياته المتعلقة بالإنسان أشياء مذهلة، ومن ثم يصعب على الفكر البشري تفسير وجودها في العصر الذي أُبلغ فيه للناس، ونحن نعلم مدى مداركهم الفكرية في ذلك العهد، لم تكن هذه الاستنتاجات قد أصبحت بعد موضوع تبادل علمي في الغرب، عندما قدّمت في التاسع من تشرين الثاني ١٩٧٦ في الأكاديمية الوطنية للطب في باريس عرضاً لمبادئ الفيزيولوجيا وعلم الأجنَّة الموجودة في القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً سبقت الاكتشافات الحديثة"[٤٢].

المبحث الثالث: الحقيقة القرآنية في نشأة الإنسانية

حقيقة النشأة الإنسانية في القرآن الكريم واضحة وجلية، وليس فيها تعقيد، لأنها وردت بتفاصيلها في الكتاب السماوي المنزل من الخالق تبارك وتعالي، وهو كتاب منزّه عن الخطأ والتناقض، بما لا يدع مجالاً للتكهنات أو الفرضيات المحيّرة المثيرة للجدل؛ بل جاءت حقيقة لا يمكن الشك فيها، ولم يستطع العلم إلى يومنا هذا ولن يستطيع أن يثبت عكس هذه الحقيقة. وفيما يأتي أعرض بعض ما ورد في القرآن الكريم عن حقيقة نشأة الإنسانية؛ مبتدئاً بحقيقة خلق الله الإنسان عموماً، ثم أعرض قصة خلق الإنسان الأول آدم – عليه السلام – البذرة الأولى التي نبتت منها أغصان الشجرة الإنسانية وتفرعت.

أولاً– الإنسان مخلوق من مخلوقات الله

الحقيقة التي لا يماري فيها إلا جاهل أو معاند هي أنَّ هذا الكون بما فيه وبمن فيه هو من صنع الله؛ إذ لا يمكن أن يكون مصادفة، ولست في مقام بسط القول فيما قيل من قِبل الملاحدة أو الفلاسفة والمفكرين أو العلماء؛ الأقدمين منهم والمحدثين حول نشأة الكون بمحتوياته، ومن بينها نشأة الإنسانية، فهي مبسوطة في مضانها، وأجدني مكتفياً بإيراد بعض الآيات الدالة على خلق الله الإنسان فهي من الحقائق التي لا تقبل الجدل ولا الشك، فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتحدث عن أصل الإنسان، وأن الله هو

٤١) **المرجع السابق**، ص١١٤.

٤٢) بوكاي، **أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية**، ص١٣.

الذي خلقه كما خلق جميع مكونات هذا الوجود؛ فمسألة الخلق في الأساس يختص بها الله تعالى دون سواه، ومن ذلك يبطل زعم "خلْق الطبيعة" فالخلق لله وحده، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]، أي: "هو المبتَدِئُ للخَلْقِ المخترع له على غير مثال سبق"(٤٣). قال الأزهري: "ومن صفات الله الخالق والخلَّاق، ولا تجوز هذه الصفة (بالألف واللام) لغير الله عزَّ وجلَّ، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة"(٤٤).

ويؤكد القرآن الكريم أن خلق الإنسان وسلالته كان بالنسبة إلى قدرة الله تعالى أمرًا هيناً، وهو أهون بكثير من خلق السماوات والأرض ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] ويقول أيضا: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧]. ثم إن القرآن الكريم يبيّن أن الله أوجد بني آدم في هذا الكون لغاية سامية، ولم يخلقهم عبثاً، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، هذه الغاية مبيَّنة قبل خلق الإنسان، فقد أنبأ الله بها ملائكته كما سيأتي في قصة خلق آدم، والوظيفة الأساس التي أنيط بها هذا المخلوق الجديد هي عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، إذن خَلْقُ الإنسان في الحقيقة القرآنية لم يكن صدفة؛ ولكنه مقصود لهدف وغاية. وتفصيل القرآن الكريم القول في خلق الله الإنسان على نحو لا يكاد يترك معه شبهة لمتشكك، أو استفسارًا لسائل؛ لأن مسألة خلق الإنسان في القرآن الكريم تمثل الإجابة عن أهم الأسئلة الوجودية التي تدور في خَلَد الإنسان في كل زمان ومكان، وهي: من أين؟ ولماذا؟ وإلى أين؟

إنَّ دراسة هذه الآيات الكثيرة لا يتسع لها المقام؛ ولكن نذكر جزءاً يسيراً نراه الأقرب للتدليل لما نتحدث عنه. ونقف أولاً مع آيات قصيرة تجيب عن الأسئلة التي ذكرناها آنفاً، يقول الله عز وجل: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾ [عبس: الآية ١٧-٢٢]، هذه الآيات الكريمة جاءت في سياق ترفع الإنسان على أخيه الإنسان، دون تفكّره في أصله، فجاءت الآيات لتبيّن حقيقة الإنسان أياً كان، وأصله، ومصيره، وهذا الاستفهام غرضه زيادة التقرير في التحقير(٤٥).

ومن الآيات التي تكشف عن أصل الإنسان ما ورد بيانه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فعِيسى – عليه السلام – نَظِيرُ آدم في التَّكوّين، بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الَّذي تَعلَّق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعًا لمشيئة الله وتكوينه، فكيف يَسْتَنْكِر وجود عيسى من غير أَبٍ من يُقرُّ بوجود آدم من غير أَبٍ ولا أُمٍّ، ووجود حَوَّاء من غير أمّ؛ فآدم وعيسى نظيران يجمعهما الذي يَصِحُّ تعليق

٤٣) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج٤، ص٢٦٥.
٤٤) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص١٩٢.
٤٥) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج٣١، ص٥٧.

الإيجاد والخَلْق به(٤٦)."وهكذا تتجلى بساطة هذه الحقيقة؛ حقيقة عيسى، وحقيقة آدم، وحقيقة الخلق كله، وتدخل إلى النفس في يسر وفي وضوح، حتى ليعجب الإنسان كيف ثار الجدل حول هذا الحادث، وهو جار وفق السنة الكبرى، سنة الخلق والنشأة جميعاً! وهذه هي طريقة الذِّكْرِ الْحَكِيمِ في مخاطبة الفطرة بالمنطق الفطري الواقعي البسيط، في أعقد القضايا، التي تبدو بعد هذا الخطاب وهي اليسر الميسور"(٤٧).

ومن الواضح جداً الخطاب القرآني للإنسان بتذكيره بنعمة الخلق والتسوية والتكريم على هذه الصفة، التي لم تأت صُدفة، وإنما مقصودة من بارئها الذي ميّز هذا المخلوق بخصائص تختلف عن المخلوقات الأخرى، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧، ٨]. إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة أمر يستحق التدبر(٤٨)، وإن الإنسان لمخلوق جميل التكوين، سويُّ الخِلقة، معتدل التصميم، وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل ما يراه حوله(٤٩). وقمة العناية الإلهية بهذا المخلوق المميَّز تتمثل في الوصف الإلهي لشكل الإنسان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. إنَّ الإنسان أعجب نسخة في هذا العالم، قد اشتملت على دقائق وأسرار شهدت ببعضها الآثار، وعلم ما علم منها أولو الأبصار، وكل ما يشاهد من الصور الإنسانية حسن(٥٠).

إنَّ هذه المعطيات والحيثيات الواضحة؛ تكفي للتدليل على نشأة الإنسان وأصله، ولا تحتاج أن نبحث عنها في الحفريات، أو بتخمين النظريات، وليس معنى كلامي هذا إنكار ما يأتينا عن طريق العلم؛ بل العلم وحده غير كافٍ في إثبات الحقائق؛ لأن هناك أموراً غيبية، ومعجزات لا يمكن للعلم إثباتها، والسبيل الوحيد إلى معرفتها هو الوحي.

ثانياً– قصة خلق آدم ودلالاتها القاطعة على حقيقة النشأة الإنسانية

قصة خلق آدم هي الأساس في بداية تشكل الأسرة الإنسانية، باعتبار آدم – عليه السلام – هو النواة والبذرة الأولى التي تفرّعت منها أغصان الإنسانية، فتناسلت من تلك السلالة حاملة ذات الخصائص والصفات. وقد تحدث القرآن الكريم عنها باستفاضة وفي مواضع عدة؛ لأنها تعرض الحقيقة التي تبحث عنها الإنسانية في معرفة أصلها ومنبعها، وليس هذا فحسب؛ بل إنها تقدّم للإنسان التصور الصحيح عن طبيعته ووظيفته في هذه الحياة، يقول سيد قطب: "وبعد فإنها ليست قصة، إنما هو عرض لحقيقة الإنسان، لتعريفه بحقيقة طبيعته، ونشأته، والعوامل المحيطة به، والقدر الذي يُصرِّف حياته، والمنهج الذي

٤٦) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٤، ص١٨٥.

٤٧) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٠٥.

٤٨) طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج١٥، ص٣١١.

٤٩) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٨٤٨.

٥٠) طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج١٤، ص٤٢٣.

يرضاه الله له، والابتلاء الذي يصادفه، والمصير الذي ينتظره"(٥١).

وبما أنَّ قصة خلق آدم هي القضية الأولى من قضايا الإنسانية، فإنها أهم عناصر التصور القرآني لنشأة الحياة الإنسانية، لذلك تعددت مواضعها كما تعددت موضوعاتها، فذكرت في أربع سور قرآنية وهي حسب ترتيبها في النزول(٥٢): [ص، الأعراف، الحجر، البقرة].

وردت القصة في سورة ص المكية مخبرة بما دار في الملأ الأعلى بين الله وملائكته، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]، في الآية إخبار مباشر من الله تعالى لملائكته أنه سيخلق بشراً، ويعني به آدم، ثم قال لهم: فإذا سويت خلقه، وعدَّلت صورته، ونفخت فيه من روحي؛ فاسجدوا له(٥٣)؛ تكريماً لهذا المخلوق الجديد، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣].

وفي سورة الأعراف المكية وردت القصة في سياق يعالج موضوعاً له أهميته في حياة الإنسانية، وهو موضوع العقيدة، في إطار الرحلة الإنسانية الطويلة منذ نشأتها الأولى إلى عودتها الأخيرة، وهذا ما أكدته القصة في هذه السورة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ، ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠-١١]. ونلاحظ هنا أن الآيات ابتدأت ببيان امتنان الله على الإنسانية، بتمكينه إياهم في هذه الأرض، وجعله فيها ما يلزمهم من معايش. ثم يأتي التأكيد من الله للناس بأنه خلقهم وصوَّرهم، وأمر الملائكة بعد ذلك بالسجود لآدم، تكريماً للإنسانية، ورفعاً لشأنها.

أما القصة في سورة الحِجْر المكية فقد نصَّ السياق على خلق الله آدم من مادة مكوّنة من صلصال من حمأٍ مسنون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٣٠].

وتختتم سورة البقرة المدنية قصة خلق آدم بعرض رائع، وسط حشد كبير من الملائكة، بعد أن استعرض السياق موكب الحياة، متحدثاً عن الأرض، في معرض الحديث عن آلاء الله على الناس، وذلك بأنه خلق لهم كل ما في الأرض، وفي وسط هذا الجو تتحدث سورة البقرة المدنية حديثاً مستفيضاً ومفصلاً عن هذه المرحلة التي مرت بها النشأة الإنسانية، وفيها إفصاح عن وظيفة هذا المخلوق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

٥١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٢٧٠.

٥٢) اعتمدت في ترتيب النزول على ما رجحه بعض الباحثين: انظر: فضل، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، ص٤٤، والحمصي، **قصص الرحمن في ظلال القران**، ج١، ص٣٤، كما اعتمدت على ما اعتمده البرهان الجعبري في نظم قصيدته المسماة (تقريب المأمول في ترتيب النزول) وذلك من الحديث المروي عن جابر بن زيد، يُنظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القران**، ج١، ص٧٨.

٥٣) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢١، ص٢٣٨.

كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ [البقرة: ٣٠-٣٧]. وردت القصة في هذه السورة المدنية، وهي السورة المدنية الوحيدة من بين السور الأربع التي عُرضت فيها القصة؛ لذلك تضمنت تفاصيل أعمق، عرضها السياق في عدة مشاهد: يبدأ المشهد الأول بحوار بين الله وملائكته ينبئ عن أمر عظيم، وحدث جليل ينتظره العالم، فيقول الله لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فيقع هذا النبأ في نفوس الملائكة موقع الاستغراب، فيتوجهون إلى ربهم سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم أو الحسد لهم(٥٤). ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. ويأتيهم الجواب المباشر من العليم الخبير: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ويستمر السياق في هذا المشهد، فيخبر بما دار بعد ذلك، حيث أكرم الله آدم وأنعم عليه وميَّزه بخاصة العلم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. ولمزيد إظهار حكمة استخلاف آدم على الأرض، عرض الله هذه الأسماء على الملائكة، وطلب منهم أن ينبئوه بها، فيأتي التسليم منهم ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. ويأمر الله آدم لينبئهم بها؛ لبيان حكمة تكريمه بهذه الخاصة، فأنبأهم آدم بما اختصه الله من علمها، ليبدأ بعد ذلك مشهد آخر تبعاً لهذه الخاصة، فيأمر الله ملائكته بالسجود لآدم، فيمتثلون لأمر الله جميعاً، إلا إبليس، الذي كان ضمن المأمورين بالسجود، فأبى السجود استكباراً، فكان من الكافرين العاصين لربهم وخالقهم. ثم يأتي بعد ذلك مشهد آخر، وهو سكنى آدم وزوجه الجنة، ودور إبليس، وإزلاله لهما، وإخراجهما من الجنة، وهبوطهما إلى الأرض التي أعدت للخلافة، بعد تزويدهما بهذه التجربة القاسية، واستغفارهما وتوبة الله عليهما(٥٥).

وبما أنَّ قصة خلق آدم هي الحقيقة الواقعية للنشأة الإنسانية، والانطلاقة الفعلية لمسيرة الإنسان من مبتدئه إلى معرفة طريقه وموقعه في هذا الكون، نقف مع بعض إيحاءات هذه القصة ودلالاتها:

١. تمهيد الأرض لتكون مناسبة لعيش الإنسان: يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]، فقد سبق إعلان خلق الإنسان تمهيد الله الأرض لتكون مناسبة لعيش المخلوق الجديد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]. قال صاحب

٥٤) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص١٤.

٥٥) الحمصي، **قصص الرحمن في ظلال القران**، ج١، ص٣٣٨.

الكشاف في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً، أو ملَّكناكم فيها، وأقدرناكم على التصرف فيها، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ جمع معيشة، وهي ما يُعاش به من المطاعم والمشارب، وغيرهما، أو ما يُتوصل به إلى ذلك(٥٦). إننا نلمس ما حولنا من مُقدّرات هذا الوجود، كلها مسخّرة ومطوَّعة للإنسان، يستخدمها في حياته، ويستعين بها في مهماته، ويقضي بها حوائجه، وتسهيلاً له ذلّل الله الأرض ليسير الإنسان فيها بسهولة ويُسر، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

٢. استقلالية الخلق الإنساني: بعد تمهيد الله الأرض لتكون صالحة ومناسبة لعيش الإنسان، أعلم الله ملائكته بأنه سيجعل في هذه الأرض مخلوقاً جديداً، يكون خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]. وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وهذا يعني أن الله خلق الإنسان خلقاً مستقلاً، وأوجده ليكون سيداً في هذه الأرض، وهذا يتنافى مع أي نظرية تنقل مسار الخلق إلى الصدفة أو الطبيعة أو التحول من مخلوق آخر؛ لأنه لم يتداخل أو يتلاقى مع غيره من الكائنات في تطور عضوي ولا انتساب خلْقي، بل هو كائن مستقل الخلق والتكوين، وقد أثبتت الدراسات العلمية التجريبية الغربية أنَّ التركيب البيولوجي في الإنسان يتميز تميزاً مبايناً متفرداً عن غيره من الكائنات(٥٧). والواقع والعلم متحدان في التصوّر المبني على أنَّ لكل إنسان أباً وأمّاً، ويبتدئ خلق الإنسان من نطفة في رحم الأم، وتحمل خلايا النطفة عوامل الوراثة من كل من الأب والأمّ، وتظل العوامل الوراثية تتحكم في الصفات الوراثية الخلقية في الجسم، وتنتقل من جيل إلى جيل، ومهما ظهرت طفرات وراثية جديدة فإن النظام الوراثي والشفرة الوراثية في نواة كل خلية بالجسم يظلان ثابتين ومميّزين للنوع، ولا يمكن أن يكونا في نوع آخر من المخلوقات(٥٨). مما يدلل على أنه لا يمكن أن يكون الإنسان تطوّر من مخلوق آخر؛ بل هو خلق مستقل بذاته؛ لأنه لا يمكن مهما حدث من طفرات وراثية أن تتطور إلى نوع آخر من الخلق(٥٩).

٣. إعطاء الإنسانية خصائصها المناسبة: خَلْقُ الإنسان لم يكن صدفة؛ والدليل أن كل شيء جرى في خلق الإنسان بمشيئة الله وحكمته

٥٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٨٥.

٥٧) العبد المحسن، **حقيقة الوجود البشري وانعكاساتها التربوية في ظل قصة خلق آدم – عليه السلام – في القرآن الكريم**، ص٩٢.

٥٨) إبراهيم، **موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة (من منظور علمي بحثي)**، ج١، ص٢٩.

٥٩) **المرجع السابق**، ص٣٠.

وتقديره، فمخلوقات الله المتنوّعة كل له وظيفة محددة، وقدّر الله لهذه المخلوقات من الخصائص ما يناسب وظيفتها ويحقق مهمتها، وهذا الإنسان أعطاه خالقه من الخصائص ما يناسب وظيفته في هذا الوجود، فهو المخلوق الوحيد الذي انفرد بخاصية العقل والعلم والإرادة والإدراك والمعرفة، لم يشاركه في ذلك أي مخلوق من مخلوقات الله. ومجموع النصوص القرآنية في خلق آدم – عليه السلام – وفي نشأة الجنس البشري، تُرجِّح أنَّ إعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية ووظائفه المستقلة كان مصاحباً لخلقه، وأنَّ الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقياً في بروز هذه الخصائص، ونموها وتدريبها، واكتسابها الخبرة العالية، ولم يكن ترقياً في وجود الإنسان من تطور الأنواع حتى انتهى إلى الإنسان كما تقول الداروينية [٦٠]. وقصة خلق آدم دلت في سياقها أنَّ الله تعالى اختص هذا المخلوق بخاصة العلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]. واختلف المفسرون في حقيقة العلم الذي علّمه الله آدم؛ فذهب كثير من المفسرين إلى أنها معرفة أسماء الأشياء[٦١]، وقال آخرون إنَّ المراد بالأسماء المسميات[٦٢]، ومنهم من يرى أنها صفات الأشياء ونعوتها وخواصها"[٦٣]. ولعل الأرجح من تلك الأقوال ما ذهب إليه صاحبا الظِّلال والمنار، وهو أنَّ الله تعالى أودع في هذا الإنسان قوة قادرة على استنباط العلم والمعرفة، وفطرة مهيأة لاستقبال شتى العلوم والمعارف، وهي سر من أسرار الخالق تبارك وتعالى[٦٤]. وهذا ما يؤخذ من قول الملائكة في قصة خلق آدم ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾؛ فهي تنفي كل علم كسبي عن جنس الملائكة، على حين يتميز الإنسان دون الكائنات الأخرى بالقدرة على تحصيل العلم الكسبي، واستعداده لكسب المعارف الوضعية[٦٥]. يقول محمد شديد: "ويمكن القول في فهم هذه الآيات أن الله تعالى قد أودع فطرة الإنسان وجعل في تصميم خلقه الاستعداد للمعرفة والعلم"[٦٦].

٤. إظهار الكرامة الإنسانية: تُظهر قصة خلق آدم مدى التكريم الذي حظي به الإنسان،

٦٠) قطب، **في ظلال القران**، ج٣، ص١٢٦٤.

٦١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١ ص٢٦٨، والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج١، ص٢٨٧، والشوكاني، **فتح القدير**، ج١، ص ٧٧.

٦٢) رضا، **تفسير المنار**، ج١، ص٢٦٢، والمراغي، **تفسير المراغي**، ج١، ص٧٥.

٦٣) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢، ص ٣٩٧.

٦٤) يُنظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٧. ورضا، **تفسير المنار**، ج١، ص٢٦٣.

٦٥) . بنت الشاطئ، **القرآن وقضايا الإنسان**، ص٥٠.

٦٦) . شديد، **قيمة الحياة في القرآن**، ص١٥٠.

من خالق الكون ومدبره، فكان من نصيب هذا الإنسان أن أفاض عليه من حُلل التكريم ما لم ينله أيّ مخلوق من مخلوقاته، فقد كرّمه الله بالنفخة الروحية منه سبحانه وتعالى، ثم أمر الملائكة بالسجود له ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٣٠]. وهذا يؤكد أن هذا الإنسان مخلوق مكرّم لله، وينفي نفياً قاطعاً النظريات التي تجعل الإنسان مترقياً من مخلوقات أخرى أو أنه نتاج الطبيعة.

٥. تأكيد الأصل الواحد للإنسانية: عرض القرآن الكريم قصة خلق آدم؛ باعتبارها الحقيقة الأولى في نشأة الإنسانية، المتمثلة في (آدم) "الذي ظهر في فرده الكامل بحقيقته الإنسانية؛ ليكون أنموذجاً لما يأتي بعده من سلائله الإنسانية"(٦٧)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، والراجح عند المفسرين، أن المراد: خلقنا أباكم آدم ثم صورناه(٦٨)، فالحديث عن آدم هو حديث عن الإنسان بخصائصه ومميزاته، فهو صورة تتكرر إلى نهاية العالم. فالتصور القرآني - من خلال سياق قصة خلق آدم - يؤكد أن الله تعالى خلق آدم وكرّمه، وجعله ذا خصائص متميزة، ومنه خلق زوجه حواء، ومنهما جاءت الإنسانية بذات الخصائص والتكريم، وقد أكد القرآن الكريم هذه المعاني في مفتتح سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]. حيث تردّ هذه الآية الكريمة الناس إلى رب واحد، وخالق واحد، كما تردهم إلى أصل واحد، وأسرة واحدة، فالمراد بالنفس الواحدة آدم (٦٩)، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم وابتدأكم، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدَمَ عليه السلام (٧٠).

٦. أطوار النشأة الإنسانية: تُخبرنا قصة خلق آدم بأن الإنسانية المتمثلة في أسرة آدم - عليه السلام - مرت بمراحل ثلاث في طور نشأتها الأولى؛ مرحلة الخلق، أي خلق آدم، البذرة الأولى التي تكاثرت منها الإنسانية، فهو أساس أصولها، ومنبع وجودها. ولنشأة الأسرة الصغيرة خلق الله من آدم زوجه حوّاء؛ لتكون هذه الأسرة النواة للإنسانية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، فكل الناس في هذا العالم من ذرية آدم، نشأوا من هذه الأسرة الصغيرة

٦٧) عرجون، **الموسوعة في سماحة الإسلام**، ج١، ص١٦٥.

٦٨) يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧، ص١٢، والطبري، **تفسير الطبري**، ج٣، ص٥٧٧، والزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٨٦، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٨٠.

٦٩) الطبري، **تفسير الطبري**، ج٢، ص٤٨٩.

٧٠) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج٢، ص١٤٦. والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٤، ص١٧٢.

التي تكاثرت وانتشرت. يقول بوكاي: "وهكذا فإن القرآن الكريم يذكر أصل الحياة بشكل عام، وهو يتوسع كثيراً في ذكر التحولات التشكيلية التي تطرأ على الإنسان، ويشدد في إعادات عدة بأن الله خلقه كما أراد، ونجد أيضاً التوالد البشري أقوالاً معبراً عنها بعبارات دقيقة يمكن مطابقتها مع المعلومات الدنيوية المكتسبة في أيامنا هذه عن ذات الموضوع"(٧١).

ثم تأتي مرحلة الامتحان بعد الخلق؛ فبعد أن أكمل الله خلْق هذا الإنسان وخلق منه زوجه، أسكنهما الجنة(٧٢)، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها، وينعما بخيراتها، ونهاهما عن شجرة واحدة(٧٣) هي بمثابة الابتلاء لآدم. ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وهذا الإسكان لآدم وزوجه في الجنة ليس خالداً، كما هو واضح من التصور القرآني للإنسان والهدف من وجوده، فقد أخبر الله ملائكته قبل خلق الإنسان أنه جاعل في الأرض خليفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. فهي مرحلة امتحان؛ ليتربى فيها الإنسان على الأوامر والنواهي، وهي بمثابة حضانة، يجد فيها التنمية والتوعية، التي تؤهله لممارسة الدور المنوط به في الأرض، وهو الخلافة. "وكان لا بد من مرور فترة تنمو فيها تجربة هذين الإنسانين (آدم وحواء) وتصل إلى الدرجة التي تتيح لهما أن يبدآ مسيرتهما في الأرض، وكدحهما نحو ربهما، من خلال ممارسة أعباء الخلافة، وكذلك كان لا بد في هذه الفترة من تربية الإحساس الخلقي، وزرع الشعور بالمسؤولية، وتعميقه في نفس الإنسان، وذلك عن طريق امتحانه بما يوجه إليه من تكاليف وأوامر"(٧٤).

وكان النهي عن الأكل من الشجرة والتحذير من غواية الشيطان أول التكاليف التي أنيطت بهذا الإنسان؛ لتكون محل الابتلاء والاختبار في هذه التجربة، وتكون ترويضاً للإنسان الخليفة على أن يتحكم في نزواته، ويكتفي من الاستمتاع بطيبات الدنيا بالحدود المعقولة من الإشباع الكريم، ولا ينساق مع الحرص المحموم على المزيد من زينة الحياة الدنيا؛ لأن هذا الحرص هو الأساس لكل ما شهده المسرح بعد ذلك من ألوان استغلال الإنسان لأخيه الإنسان(٧٥)؛ لكنه سرعان ما تظهر فطرة النسيان في الطبيعة الإنسانية، فنسي آدم عهد التكليف فأكل وزوجه من الشجرة، ووقعت المعصية ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؛ لكن هذه المعصية استطاعت أن تُحدِث

٧١) **أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية**، ص١٧٧-١٧٨.

٧٢) اختلف المفسرون في الجنة التي أسكنها آدم وزوجه: هل هي جنة الخلد التي أعدها الله لعباده المتقين في الآخرة، أم غيرها. يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القران**، ج١، ص٢٨٦، وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١، ص ٨٤-٨٧، والشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج١، ص٩٨-١٠٢.

٧٣) لم يبين القرآن الكريم الشجرة التي نهى الله آدم عن اقترابها، والذين حاولوا معرفتها من المفسرين وغيرهم إنما كان اعتمادهم على الروايات الإسرائيلية فحسب. يُنظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج١، ص١٩٤، والألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٣٦، وقطب، **في ظلال القران**، ج٣، ص١٢٦٨.

٧٤) محمد عبد الجبار، المجتمع: **بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني**، ص٤٦.

٧٥) الصوافي، **الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم**، ص٧١.

هزَّة روحية كبيرة في نفسه، وتُفجِّر في أعماقه الإحساس بالمسؤولية، من خلال مشاعر الندم، وطفق في هذه اللحظة يخصف على جسده من ورق الجنة؛ ليواري سوأته ويستغفر الله لذنبه(٧٦). كانت هذه المرحلة بمثابة التجربة لهذا المخلوق، وتربية له وإعداداً، كانت إيقاظاً للقوى المذخورة في كيانه، كانت تدريباً له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الآمن(٧٧).

ثم تأتي مرحلة الاستخلاف في الأرض، وهي الوظيفة الأساسية التي خُلق الإنسان من أجلها، بعد تزويد آدم بتلك التجربة القاسية، والتمهيد لممارسة مهمته المنوطة به في الأرض، صدر الأمر الإلهي بأن يهبط آدم وزوجه إلى الأرض، التي جعلها الله المستقر له ولذريته، لتكون الامتحان المرير، والابتلاء الحقيقي، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]. والخطاب موجه إلى آدم وزوجه ونسلهما، فكأن إهباط آدم وزوجه من الجنة إهباط لذريتهما، أو أنه موجه إلى آدم وزوجه وإبليس(٧٨)، يأمرهم بالهبوط إلى المكان الذي جعله الله مستقراً لهم، ومتاعاً ينتفعون به في معيشتهم، إلى وقت مُقدَّر في علم الله. ثم يأتي البيان الإلهي في قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]؛ أي حياتكم في هذه الأرض التي خلقتم منها، وفيها تموتون عند انتهائه، ومنها تخرجون بعد موت الجميع. فاستقر آدم وحواء على الأرض التي خُلقوا منها ولأجلها، وجاءتهم الذرية، وبدأوا في الانتشار والتكاثر.

هكذا تُجَلِّي هذه القصة نشأة الإنسانية بكل تفاصيلها، مما لا مجال لإطلاق عنان الخيال الفكري في التكهنات، وإيجاد الفرضيات التي لا تستند إلى دليل قطعي، ولا يسعفها الواقع الإنساني. وعوداً على بدء نقول مطمئنين إن الذي يحجب ضوء هذه الحقيقة هو العناد الفكري، المتمثل في الإلحاد، فراراً من الإيمان بالله الخالق البارئ المدبر للكون، وإلا فإن نور الحق جلي واضح ناطق بالحقيقة التي لا مراء فيها. فقصة خلق آدم دلالتها الواضحة أن الإنسان خلقه الله من أول الأمر إنساناً؛ ليكون خليفة في الأرض مفضلاً على ما فيها من مخلوقات بما اختصه الله به من ملكات، وما أفيض عليه من مواهب(٧٩). منها العلم والفهم، والعقل والإدراك، والإرادة، وغيرها الكثير التي يختص بها الإنسان دون غيرها من سائر المخلوقات، والتي سمّاها بعض الباحثين "فجوات" فاصلة بين الإنسان والكائنات الأخرى، أو ما يُسمّى ملكة الاستعراف(٨٠).

الخاتمة

النتائج الحقيقية الصحيحة لنشأة الإنسانية لا يمكن الوصول إليها عن طريق الحفريات والاكتشافات؛ لأنها مصادر اجتهادية ظنية، ولا عن طريق الفكر

٧٦) **المرجع السابق**، الصفحة ذاتها.

٧٧) قطب، **في ظلال القران**، ج١، ص٥٩.

٧٨) يُنظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج١، ص٥٣٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٤٣٤. ورضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٣٥١، والزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٧.

٧٩) الخليلي، **مصرع الإلحاد**، ج١، ص٤١٧.

٨٠) يُنظر: رزق، **أصل الإنسان**، ص٥١ وما بعدها.

البشري القاصر؛ لأنه لا يُدرك كنه نفسه البالغة التعقيد، وإنما يجب أن تنطلق من مصادر أصيلة قطعية الثبوت والدلالة، ولا يوجد مراجع أصيلة في عالمنا اليوم سوى القرآن الكريم، فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي تم حفظه من أن تناله يد التحريف. وقد أتى هذا الكتاب العزيز بحقائق لا تقبل النقض ولا الرد، وهذا ما يثبته العلم الحديث المتجرد يوماً بعد يوم. فأيّ تفسير لنشأة الحياة يخالف ما أخبر به القرآن الكريم فهو ضرب من الاجتهاد أو حديث بالغيب، والغيب لا يمكن أن يتوصل إليه الإنسان؛ لا بفكره ولا بمكتشفاته. ومن منطلق دعوة القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل والاكتشاف والبحث عن الحقائق؛ فإنَّ مسألة النشأة الإنسانية ينبغي أن يتعانق في دراستها العقل والنقل، دون التفريط في أحدهما، وهذا ما افتقده أصحاب النظريات الباحثة عن نشأة الإنسان وأصله؛ مما جعلهم في تخبط وحيرة. وحقيقة النشأة الإنسانية في القرآن الكريم واضحة وجلية، وليس فيها تعقيد؛ لأنها وردت بتفاصيلها في الكتاب السماوي المنزل من الخالق تبارك وتعالى، وهو كتاب منزّه عن الخطأ والتناقض، بما لا يدع مجالاً للتكهنات أو الفرضيات المحيّرة المثيرة للجدل؛ بل جاءت حقيقة لا يمكن الشك فيها، ولم يستطع العلم إلى يومنا هذا ولن يستطيع أن يثبت عكس هذه الحقيقة. وفيما يأتي أعرض النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- يختلف مفهوم النشأة الإنسانية باختلاف التوجهات والأفكار، وهو في منظور القرآن الكريم: ابتداء نشأة الإنسانية، وتحديد أصلها؛ أو هو ابتداء خلق الإنسان وإيجاده، وهو مختص بالله سبحانه وتعالى.
- المشكلة الأساس في سبب تيه الإنسانية في البحث عن نشأتها تتمثل في التصورات التي ينطلق منها الفكر الإنساني في تحديد حقيقة ثلاثة أمور: الكون، والحياة، والإنسان؛ فحقيقة هذه الأشياء مربوطة رباطاً وثيقاً بمسألة الإيمان بالله سبحانه وتعالى الخالق المنشئ المدبر لهذا الكون بما فيه وبمن فيه.
- الإلحاد وعدم الاعتراف بالله خالقاً ومدبراً لهذا الكون أدت إلى انطماس البصائر وفساد العقول، وهو ليس بجديد، إنما قديم قِدم الأمم الإنسانية المتعاقبة؛ فالإلحاد هو السبب الرئيس في إيجاد البديل عن الحقيقة القرآنية لنشأة الإنسانية؛ فالملحد لا يؤمن بوجود خالق، وإنما يرى أن هذا الكون تكوّن بفعل الطبيعة، وكل الموجودات على هذا الكوكب إنما جاءت بالصدفة.
- التخبط الذي نشأ حول جدلية النشأة الإنسانية جاء نتيجة اجتهادات عايشتها البشرية منذ زمن طويل، خاصة الاتجاهات الفلسفية قديماً، ثم العلمية التجريبية حديثاً، ولكن تبقى كلها نظريات ظنية لا دليل قاطع على صدقها.
- نشأة الكون بما فيه من كائنات فيه كثير من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، ويجب أن يتعانق في دراستها العقل مع النقل، دون التفريط في أحدهما، وهذا ما افتقده أصحاب النظريات الباحثة عن نشأة الإنسان وأصله.
- وردت حقيقة النشأة الإنسانية في القرآن الكريم بتفاصيلها، بما لا يدع مجالاً للتكهنات

أو الفرضيات المحيّرة والمثيرة للجدل؛ بل جاءت حقيقة لا يمكن الشك فيها، ولم يستطع العلم إلى يومنا هذا أن يثبت عكس هذه الحقيقة.

- قصة خلق آدم هي أهم عناصر التصور القرآني لنشأة الحياة الإنسانية؛ فهي الأساس في بداية تشكل الأسرة الإنسانية، باعتبار آدم – عليه السلام – هو النواة والبذرة الأولى التي تفرّعت منها أغصان الإنسانية، فتناسلت من تلك السلالة حاملة ذات الخصائص والصفات.
- أكَّدت قصة خلق آدم استقلالية الخلق الإنساني، فمجموع النصوص القرآنية في خلق آدم – عليه السلام – وفي نشأة الجنس البشري، تؤكد أنَّ إعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية، ووظائفه المستقلة كان مصاحباً لخلقه، وأن الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقياً في بروز هذه الخصائص، ونموها وتدريبها، واكتسابها الخبرة العالية، ولم يكن ترقياً في وجود الإنسان من تطور الأنواع حتى انتهى إلى الإنسان كما تقول الداروينية.
- أكَّد القرآن الكريم على الأصل الواحد للإنسانية، فآدم الذي أنبأتنا عنه قصة خلق آدم هو مصدر لهذه الإنسانية، فهو صورة تتكرر على الأرض. فالتصور القرآني يؤكد أنَّ الله تعالى خلق آدم، ومنه خلق زوجه حواء، ومنهما جاءت الإنسانية بذات الخصائص.

التوصيات: يوصي الباحث بالآتي:

- قيام دراسات معمّقة حول قصة خلق آدم وأهدافها ودلالاتها؛ لأنها الركيزة الأساس في أصل نشأة الإنسانية.
- تنظيم مؤتمر يتناول موضوع نشأة الإنسانية من خلال القرآن الكريم.
- التصدي للنظريات والفرضيات الوضعية التي تحاول خداع الناس وتضليلهم حول نشأة الإنسان وأصله.

***

المصادر والمراجع:

إبراهيم، أحمد شوقي، **موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة (من منظور علمي بحثي)** الجزء الأول "نشأة الإنسان وخلقه"، (الجيزة: دار نهضة مصر للنشر، ط١، ٢٠١٢م).

الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ).

البغوي، الحسين بن محمد، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ).

بوكاي، موريس، **أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية**، ترجمة: فوزي شعبان (المكتبة العلمية).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، (عالم الكتب، ط١، ١٩٨٧م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ).

الحمصي، أحمد فائز، **قصص الرحمن في ظلال القران**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٥م).

الخليلي، أحمد بن حمد، **مصرع الإلحاد**، (مسقط: الكلمة الطيبة، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م).

داروين، تشارلز، **أصل الأنواع**، ترجمة: إسماعيل مظهر، (مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

رزق، هاني خليل، **أصل الإنسان التفسير الداروينى في ضوء المكتشفات الحديثة**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، (دار الفكر، ط٢، ١٩٩٠م).

الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس**، (١٩٨٥م).

الزمخشري، محمود، **الكشاف**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٧م).

الدغامين، زياد خليل، **إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل**، (أزمير: دار النيل، ط١، ١٩٩٨م).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

السيوطي، جلال الدين، ال**إتقان في علوم القران**، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م).

السيوطي، جلال الدين، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

شديد، **قيمة الحياة في القرآن الكريم**، (القاهرة: دار الشعب).

شريعتي، علي، **الإسلام ومدارس الغرب**، ترجمة: عباس ترجمان، (دار الصحف للنشر، ط١، ١٤١١هـ).

الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء**، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدر**، (دمشق وبيروت: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ).

الصوافي، سعيد بن راشد، **الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم** (رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٩م).

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م).

أبو عادل الدمشقي، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

العبد المحسن، محمد عبد المحسن عبد الكريم، **حقيقة الوجود البشري وانعكاساتها التربوية في ظل قصة خلق آدم – عليه السلام – في القرآن الكريم** (بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ) غير مطبوع.

عرجون، محمد الصادق، **الموسوعة في سماحة الإسلام**، (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤م).

غريب، محمود محمد، **سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)**، (القاهرة: دار التراث العربي، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م).

الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).

فرج، السيد أحمد، **مقال في الإنسان والتوحيد**، (المنصورة: دار الوفاء: ط١، ١٩٩٣م).

فضل حسن عباس، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، (عمان: دار الفرقان، ط٢، ١٩٩٢م).

الفيروز أبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

الفيومي، أحمد محمد، **المصباح المنير**، (بيروت: دار القلم، ١٩٩٠م).

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، (دار الفكر، ١٩٩٣م).

قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، (بيروت والقاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).

قطب، محمد، **دراسات في النفس الإنسانية**، (القاهرة وبيروت: دار الشروق، ط١٠، ١٩٩٣م).

ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، (بيروت: دار المعرفة، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

ابن كثير، إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

ابن كثير، إسماعيل، **قصص الأنبياء**، (القاهرة: دار العلوم العربية، ط١، ١٩٩٨م).

مجموعة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: دار الدعوة).

المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

محمد عبد الجبار، **المجتمع: بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني**، (بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٧م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، **لسان العرب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

الرقم الدولي (ISSN)
print:2790-024X
Online:2790-0258

جميع الحقوق محفوظة